مجلة الآداب، م٢٨، ع٣، ص ص ١٨٧ - ٢٠٦، جامعة الملك سعود، الرياض (٢٠١٦م/ ١٤٣٧هـ)

البرغماتية والمناهج المختلطة في علم الاجتماع: البحوث الاجتماعية المطبقة على المجتمع السعودي

ذيب بن محمد بن ناصر الدوسري (*)

أستاذ مساعد بقسم الدراسات الاجتماعية، كلية الآداب

جامعة الملك سعود

(قدم للنشر في ١٠/ ٣/ ١٤٣٧هـ،وقبل في ١٩/ ٨/ ١٤٣٧هـ)

الكلمات المفتاحية : البراغماتية، المناهج المختلطة، البحوث الاجتماعية، المجتمع السعودي.

ملخص البحث: في هذه الدراسة حاول الباحث معرفة دور المنظور (البراغماتي) في تطوير المناهج المختلطة وكيفية استخدامها في البحوث الإنسانية، وبالأخص في علم الاجتماع. كذلك استعرض الباحث المميزات في استخدام المناهج المختلطة داخل إطار البحوث الاجتماعية وذلك باستعراض أهمية المنظور البراغماتي، والمناهج المختلطة في تقديم أفضل النتائج المرجوة للمواضيع والمشكلات الاجتماعية. إضافة إلى ذلك تطرق الباحث إلى الجدل الدائر في استخدام الفلسفات الاجتماعية في البحوث الاجتماعية في المجتمع السعودي، وماهي أبرز أوجه القصور والنقْدْ الموجه إلى المنظور البراغماتي داخل المجتمع السعودي.

(*)يتقدم الباحث بوافر الشكر لعمادة البحث العلمي، ومركز بحوث كلية الآداب بجامعة الملك سعود، لتفضلها بدعم هذا البحث.

Pragmatism and mixed methods in sociology: Social researches Applied in Saudi Society

Theeb Mohammed Nasser Aldossry

Assistant Professor - department of social studies - college of arts

(Received 10/3/1437H; Accepted for publication 19/8/1437H)

Keywords: Pragmatism, Mixed Methods, social research, Saudi society.

Abstract. In this study, the researcher investigates the role of pragmatics in the development of Mixed Methods and their use in humanities research, especially in sociology. Moreover, the researcher illustrates the benefits of using Mixed Methods within the framework of social research by highlighting the important role they both play in providing solutions to social problems and issues. In addition, the researcher addresses the arguments concerning the use of social philosophies in social research, and the most notable shortcomings and criticism of pragmatics in the Saudi society.

مقَدْمـــــة

أسهم تطور العلوم الإنسانية إسهاماً كبيراً في تطوير مناهج البحث، وبالأخص في علم الاجتماع والعكس صحيح، فتطوير المنهجية وأدوات المنهج أصبح عاملاً مساهماً في تطوير تلك العلوم الإنسانية ونظرياتها ومفاهيمها المفسرة لتلك النظريات. فقَدْ ساهم بعض الباحثين في علم الاجتماع، بوساطة البحث في الوصول إلى دلائل وحقائق علمية لكثير من المسائل، الَّتِي ترتبط بحياتنا اليومية، أو بمجتمعاتنا الإنسانية المعاصرة، هذه الحقائق أو الأجوبة على تلك الأسئلة تحتاج في الأساس إلى المناهج العلمية الرصينة لتحقيق تلك الأهداف.

فقَدْ بدا واضحاً منذ بداية التاريخ الاهتمام بالمناهج العلمية المستخدمة للتوصل إلى المعلومة الصحيحة، والإجابة الشافية لجميع ما يدور حولنا. فبدأ الاهتمام منذ أفلاطون بالأساليب الكمية وكذلك اهتمام السفسطائيين بالأساليب الكيفية في محاولة جادة لرسم تلك الحدود الواضحة بين ما هو علمي وصحيح، وما هو خرافة في الأساطير (Johnson ,Onwuegbuzie and turner, 2007).

فالفلسفات العلمية، الَّتِي نشأت واهتمت كثيرًا في العلوم الاجتماعية، اهتمت، أيضًا بالمحاولة إلى الوصول إلى المناهج العلمية، الَّتِي عن طريقها نتوصل إلى الأجوبة الكافية عَنْ تساؤلات الحياة أو تفسيرًا لبعض الظواهر الاجتماعية. ومنها المنظور العلمي scientific paradigm (الأسلوب الكمي) والمنظورات التفسيرية والبنيوية interpretvism and constructionism (الأسلوب الكيفي) وغيرها من النظريات العلمية، الَّتِي ركزت وبصورة كبيرة على تلك المنهجيات في سبيل الوصول إلى حل المشكلات.

وقَدْ بدا وبشكل ملحوظ في أواخر القرن العشرين الاهتمام بمنظور جديد لا يتعمد بالضرورة على الأساليب الكيفية، أو الكمية كل على حدة، بَلْ أصبح هناك ما يُسمَّى بالدراسات المختلطة الأساليب (mixed method)، أو ما يُسمَّى، أيضًا بالمنهج الثنائي، وهو الذي يستند على المنظور الفلسفي البراغماتي في تحليله والاعتماد عليه.

فالمنظور البراغماتي وكما يتحدث عَنْه رواده بأنَّه قَدْ تجاوز تلك العوائق في اختيار تلك الأساليب الكمية والكيفية بدمجها مع بعضها البعض عَنْ طريق الأساليب المختلطة، أو ما يُسمى بالمنهج الثنائي (كمي وكيفي)، هذا المنظور ركز، أيضًا على مفهوم القيم والحقيقة، إضافةً إلى تركيزه حول مفاهيم المنهجية واستخدام الأساليب المختلطة للتوصل للمعلومة.

في هذه الدراسة سوف يتطرق الباحث إلى ماهية البراغماتية والأسلوب المختلط القائم على المنظور البراغماتي إضافةً إلى التركيز على مفهوم الأساليب المختلطة في علم الاجتماع، وبصورة أخص

استخداماته ومميزات المنظور البراغماتي، وبعض الجدليات عن البراغماتية داخل المجتمع السعودي.

المنظور الفلسفي ومنهجية البحث:

إنَّ الفلسفة المنهجية (paradigm) كانت محل اهتمام الكثير من الفلاسفة والعلماء وفي جميع المدارس الفكرية الأوروبية، وخصوصًا في مجال علم الاجتماع، فقَدْ كانت في القرن التاسع عشر الميلادي محل نقاش لدى (أوجست كونت ودوركايم) وصولًا إلى (بيير بروديو وهابرماس).

هذه الفلسفات أخذت الكثير من المنهجيات الوضعية (الكمية)، أو المنهجيات البنيوية (الكيفية) في اعتمادها على استخراج المعلومات، أو المصادر الفكرية، التِي تحتاج إليها في سبيل تحقيق أهدافها وصياغة أجوبة لفروضها. لذا أصبح من المهم على الباحثين قبَل الشروع في أبحاثهم توضيح فلسفتهم البحثية بصورة تامة على ماذا يستندون، وما هي النقاط الفلسفية، التِي تتمحور أبحاثهم حولها، وكيفية الوصول إلى النتائج البحثية بالطرق العلمية الصحيحة. كما أنَّ الفلسفة لا تحدد منهجية البحث، بَلْ العكس، فالمنهجية: هي التي تحدد الفلسفة التي يتبعونها في شرح إجراءات الأسلوب المتبع في بحوثهم (Plowright,2011).

لماذا المنظور الفلسفي في البحوث الاجتماعية؟

يتبادر في هذه الآونة عدة أسئلة عن كتابة المنظور الفلسفي في البحوث الاجتماعية، ومدى أهميتها لدى الباحث والقارئ على حدٍّ سواء. يجيب على هذه التساؤلات الكثير من الباحثين بأنَّ المنظور العلمي للفلسفة هو الباعث الرئيس لدراسة البحوث الاجتماعية، وهو النموذج الذي بوساطته يعطينا الباحث صورة لهوية وماهية المعرفة، التي يريد البحث عَنْها، والطريقة، التي يعتقد أنَّها سوف توصله لتلك المعرفة. من تلك المنظورات الفلسفية، التي يعتمد عليها الكثير من الباحثين هي الوضعية والبنائية والبراغماتية (Creswell,2009). كما يؤكد ذلك (Crotty) بإن المنظور الفلسفي هو بمثابة نقطة انطلاق لوضع المقترح البحثي والتي بها يمكن تبرير خياراتنا في استخدام المنهجيات والأساليب، التي تصل الافتراضات حول حقيقة ما، بوساطة مجالنا النظري (Crotty 1998).

إنَّ المنظور الفلسفي، ليس مجرد ترف، أو خيال وتنظير يمكن التخلي عَنْه، بَلْ هو أمر لازم؛ لأنَّه يشكل بوصلة الباحث العلمي. فذلك يدخل في سياق التأمل واستعمال الأفكار الموجهة. وذلك من صميم البحث العلمي الجاد الذي لا يفصل بين الظاهرة والفكرة، أو بين المشكلة وسياقها الفكري.

إنَّ سوء الفهم والتقصير في صياغة المنظور الفلسفي هو السبب في انتشار تصورات خاطئة عن المنطلق الفلسفي (الفكري) بما في ذلك اعتباره غموضاً وتعقيداً وخلافه.

على الرغم من أنَّ المنظور الفلسفي يكون عادة خفياً إلى حدٍّ كبير في البحث، فإنَّه لا يزال يؤثر في كتابة البحوث، وخصوصًا في البلْدان المتقَدمة في مجال العلوم الإنسانية، ويجب إيضاح ذلك بإعداد الباحث لمقترح البحث الذي يوجب عليه توضيح أفكاره الفلسفية، الَّتِي يستطيع بها التوصل إلى معرفة دقيقة أو تفسير شامل لموضوع الدراسة وإشكالياتها، وما هي المنهجيات والطرق، التي ستساعد على تفسير لماذا اختار المنهجية البحثية؟ سواء كانت (كمية أو كيفية أو المنهج المختلط)، فهي النظرة أو التوجه العام لطبيعة البحوث، التي يجريها الباحث، والتي تتشكل بنظرة الباحث، وخلفيته الفكرية وخبرته البحثية عن موضوع الدراسة أو المشكلة البحثية (Creswell,2009).

فقبَل اكتساب علم الاجتماع المكانة العلمية بين العلوم الاجتماعية ظلت الفلسفة وغيرها من العلوم الكهنوتية هي العلوم المتخصصة في الشأن الاجتماعي، مما جعل النظريات الاجتماعية الكلاسيكية الفلسفية تحظى بمساهمة كبيرة في تقَدم البحوث الاجتماعية، والتعجيل ببروز علم الاجتماع (Neuman,1991).

هذا ما يميز الدراسات الاجتماعية والإنسانية، فهي قَدْ أصبحت في العقود الاخيرة تعتمد على مدى رؤية الباحث للمعرفة وكيفية الحصول عليها، لا بواسطة الطريقة، التي يستخدمها فقط في البحث بَلْ، أيضًا بواسطة المنظور الفلسفي الذي يتبعه في سعيه نحو الوصول للمعرفة والحقيقة. كذلك على الباحث أن يضع جهداً كبيرًا في الإجابة على سؤالين مهمين قبَل الشروع في البحث، وهما:

ما المنهجيات والأساليب، التي ستوظف في البحث؟ وكذلك كيف يمكن للباحث تبرير هذا الاختيار في الأساليب والمنهجيات؟ (Crotty,1998). فالمنظور الفلسفي للباحث عَن القضية المراد دراستها هو العامل المساهم والمساند الذي يسهل له عملية شرح تلك الأساليب وتبرير الاختيار للمنهجيات، التي وظفت في البحث.

منذ مؤسس علم الاجتماع (أوجست كونت) ومطالبته بوضع علم الاجتماع في مصاف العلوم الطبيعية أُستخدمت المناهج العلمية للعلوم الطبيعية في البحوث الاجتماعية وصولًا إلى هابرماس ونظريته النقَدْية، فقَدْ تمحورت البحوث عن الفلسفات الجديدة، التي بإمكان علم الاجتماع الاعتماد عليها لتحقيق أهداف البحث العلمي. ومن ضمن تلك الفلسفات العلمية الفلسفة البرغماتية، التي اعتمدت وبصورة مغايرة على مفهوم القيم والحقيقة والذات، كذلك اعتمدت الجمع بين المنهجيات السائدة في العلوم الاجتماعية باستخدامها الأسلوب المختلط ويُسمَّى، أيضًا بالأساليب المختلطة (mixed methods).

إنَّ المنظور الوضعي الذي اعتمد عليه، كونت في منهجيات الدراسة أنَّ العالم له واقع وجودي

(Ontology)، ويشار إلى ذلك بأنَّه العقل المستقل، والحقيقة هي "هناك" أي خارجة عنا وموجودة حتى عنْدما لا يكون هناك بشر يدركون حقيقة الواقع.

وغالبًا ما يشار إلى النموذج الوضعي على أنَّه واقع بالمنظور الوجودي إلى العالم، بخلاف البنائيين الذين يعدون الحقيقة أنها واقع اجتماعي، وتتحقق بالعلاقات، التي تعتمد على العقل بواسطة النشاطات النفسية والعلاقات المشتركة، التي علينا جميعا المشاركة فيها (Polwright,2011). إلَّا أنَّ المنظور البراغماتي القائم على الأسلوب المختلط (المتعدد) اعتمد على أخذ المعرفة والحقيقة، لا من كينونتها، بَلْ بما تضفي على هذه الحقيقة والمعرفة من أثر في العالم الاجتماعي.

اشتهرت البراغماتية كثيرًا في العلوم الاجتماعية وأصبحت ذات صيت عال في الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا منذ أوائل القرن العشرين (Goldkuhi,2004،Halton ,2004،Thayer,1982)، بَلْ أصبح مصطلح البراغماتية أَحَد المفاهيم الرئيسة في البحوث الاجتماعية، ليس فقط عن معنى هذه المنهجية، بَلْ يتعدى ذلك لاستخدام هذه الفلسفة في المنهجية المستخدمة في تلك البحوث الاجتماعية (الأسلوب المختلط)، (Morgan, 2007).

إلَّا إنَّه في العالم العربي، وخصوصًا في المجتمع السعودي لا نجد الكثير من الاهتمام عند الباحثين بقَدْر ذلك الاهتمام في المجتمعات الغربية. بَلْ يجد البعض أنَّ ما كتب عَن المنهجية البراغماتية لا يعدو كونه نقداً للفلسفة، ورفضاً للاستخدام الفلسفي في العلوم الاجتماعية. في حين نجد أنَّ في العلوم الاجتماعية في الغرب يعد اختيار المنظور الفلسفي خطوة ضرورية لتبرير المنهجية العلمية، التي اُختيرت، ثم بعد ذلك يأتي تحديد أسئلة البحث. لذا فاختيار المنظور الفلسفي هو الإطار النظري الذي يتيح لنا تقَدْيم تفسيراتٍ منطقية ومتماسكة للقرارات الفكرية، التي اتخذناها (Polwright,2011)، ولكن ذلك لا يُفسر بالضرورة المنهج المتبع الذي يستخدمه الباحث في دراسته.

ما هي البراغماتية؟

البراغماتية كما سبق القول ظهرت في أميركا، وكلمة براجماتزم (pragmatism) في أصلها مأخوذة من الكلمة اليونانية (pragma)، التي تعني العمل النافع أو المزاولة المجدية. وقَد استعملت الكلمة للدلالة على معان عدة، إلا أنَّ أول من استخدمها للدلالة على هذا المعنى النفعي في البراغماتية هو الفيلسوف الأميركي (تشارلس بيرس) [١٨٣٩-١٩١٤م] الذي أوضح معنى هذه الكلمة في مقالته الشهيرة " كيف نوضح أفكارنا"، حيث يذكر القاعدة الأساسية وهي "إن تصورنا لموضوع ما هو تصورنا لما قَدْ ينتج هن هذا الموضوع من آثار عملية لا أكثر" وهذا يعني أنَّ علامة

الحقيقة أو معيارها هي العمل المنتج لا الحكم العقلي لها (وهبة،٢٠١١م). وكما يرها إبراهيم (١٩٩٩م) بأنها فعل ونشاط أو تيار مثالي ذاتي في الفلسفة الغربية، يرى أنَّ المنفعة العملية للمعارف مصدرًا لها ومعيارًا رئيساً لصحتها.

أمَّا المؤسس الفعلي للمذهب، والذي أرسى قواعده وقنن أفكاره، فهو الأمريكي (وليم جيمس) الذي يعد الأب الثاني للبراغماتيين بإضافاته في الفلسفة البراغماتية، مِثْل: نظرية المعنى ونظرية الصدق، ومفادها: إنَّ العبارة ذات المعنى لا يتحتم أن تكون صادقة، بَلْ حسبها لتكون ذات "معنى" أن تكون مفهومة، على أساس ما عساه أن يصادف الحواس من خبرات لو كانت صادقة، بمعنى، أن صدق الفكرة يقاس بمدى ما تحققه من قيمة فورية وهو يقصد من ذلك التأكيد على الدور المؤثر الذي ينبغي أن تؤدِّيه الأفكار والمعتقَدات في حياتنا اليومية (الحجيلي،١٤٣١هـ).

هذه الإضافات قَدْ بنى عليها الكثير من الباحثين عن أهمية الأفكار، التي تقود إلى تحقيق الصدق بدلاً من الاعتماد على الفلسفات القَديمة، والتي ركزت على الأطر القَديمة في استخدام الأساليب المنهجية.

وقَدْ تحدث (وليم جيمس) عَنْ أهمية الأفكار، وما يراه حقيقة عَنْ غيره هو مدى ما تشكل هذه الفكرة أو مدى قدرتها على تحقيق المنفعة المرجوة عَنْ غيرها من تلك الأفكار لدى أصحابها وكيفية الاستفادة منها في تحقيق أكبر قَدْر من المنفعة (وليم جيمس، ١٩٧٧م: ١٣٢). فالبراغماتيون يرون أنَّ معاني الظاهرة مستمدة من آثارها على العالم بدلاً من أيٍّ من الخصائص الذاتية، التي قَدْ تمتلكها (Dennis,2011).

إنَّ البراغماتية مذهب فكري فلسفي نشأ كردة فعل على الاتجاهات الكلاسيكية القَديمة، فهي وبصورة عامة تعتمد في الأساس على النتائج الفعلية النافعة للأمور بغض النظر عَنْ مبادئ تلك الأمور، أو حتى نشأتها. لقَدْ نشأت البراغماتية وبصورة كبيرة في الولايات المتحدة الأمريكية في أوائل القرن العشرين، ثم انخفض توهجها مقابل انتشار الفلسفة الوضعية والوضعية الجديدة (positivism and new positivism) ، ثم عاد توهجها من جديد عام ١٩٧٠م بكتابات (Brandom Rorty, Putnam and) حيث أُعيدت صياغة الفلسفة الوضعية الكلاسيكية، وأُطلق عليها لاحقاً البراغماتية الجديدة new pragmatism (Hookay,2015).

على الرغم من انتشار أفكارها كفلسفة تعتمد على نتائج الأمور وعواقبها إلا أنَّها ساعدت كثيرًا عبر انتشارها في إيجاد حلٍّ لمعضلة المنهجية في العلوم الإنسانية. فالتركيز على نتائج الأمور ودراسة الظواهر الاجتماعية وتحليلها، قَد يتغاضى عَن الإشكاليات، ويتخلى عَن الاستفهامات، التي عادة ما كان يثيرها الكثير من الفلاسفة. وكما يرى (ديوي) فإنَّ الفلسفة

البراغماتية هي فلسفة معاكسة للفلسفة القَديمة، التي تبدأ بالتصورات، وبقَدْر صدق هذه التصورات تكون النتائج، أمَّا البراغماتية فهي تدعُ الواقع يفرض على البشر معنى الحقيقة، وليس هناك حقٌّ أو حقيقة ابتدائية تفرض نفسها على الواقع"(التريكي، ١٩٩٢م).

فهي بذلك تعدُّ تيارًا فكريًّا أمريكيًّا بصورة نموذجية يتوخى المعرفة من زاوية فعاليتها، لا من زاوية حقيقتها المطلقة (ديلودال، ٢٠٠٩م). لذا كانت البراغماتية في كثير من الأحوال لا تعتمد على الفلسفة الوضعية، ولا على الفلسفات البنيوية. فهي خطت لها مسارًا خاصًا يجنبها الكثير من المآزق، التي مرت بها غالبية الفلسفات الاجتماعية السابقة.

كما يرى (Goldkuhl, 2004) أنَّ البراغماتية هي بديل عملي للمدارس الفكرية الوضعية، وكذلك هي مناهضة لها، إضافةً إلى أنَّها أخذت موقعاً عمليًّا بين تلك المدراس. في حين المدارس الفكرية الفلسفية (الوضعية والبنائية) بدأت تأخذ منحنياتٍ متطرفةً؛ لذلك كانت البراغماتية تمثِّل البديل العملي لها؛ لأنَّها تلتزم بإيجابيات تلك المدارس وتدمجها عمليًّا في منهج واحد.

وبالرغم من تجاهل السيد (الشتا) للمنظور البراغماتي إلا إنَّه تطرق إلى أهم التحديات، التي تواجه البحث العلمي ومعطياته المعرفية، في محاولة منه لرسم معالم الإستراتيجية، التي يمكن أن تحقق للبحث الوحدة بين الموضوعية والذاتية، عَنْ طريق إخضاع المعرفة لإجراءات القياس والتجريب والملاحظة (الشتا،١٩٨٢م).

فالمناهج المختلطة قَدْ تخطت ذلك بعد وضع الأساليب الكمية والكيفية في إطار وأَحَد بواسطة المنظور البراغماتي، وجعل مشكلات البحث القَديمة (الموضوعية والذاتية) أقل حدةً وأقل نقاشًا عما كان عليه علم الاجتماع الكلاسيكي.

إنَّ البراغماتية كمفهوم ليس فقط فلسفي، بَلْ كمفهوم منهجي يرتبط كثيرًا بالبنائية، وما بعد البنائية فيما يتصل بالبحث الكيفي، وكذلك يتصل هذا المفهوم كثيرًا بالوضعية وما بعد الوضعية فيما يتصل بالبحث الكمي (Johnson and others,2007).

وبصورة عامة كما يتحدث كل من (Biesta and Burbules,2003) فإنَّ أشهر عقيدة يمكن أن تطلق على البراغماتيين هو أنَّ أي ظاهرة لا يُنظر إليها إلا من نتائجها وأثرها على العالم، وليس من خصائصها الذاتية، التي تحملها. لا يهم مصدر الفكرة بَلْ نتيجتها. ولا تبحث البراغماتية عَنْ بداية المعتقَد، بَلْ عن نهايته، أي: ما الذي يحدثه في حياتنا العملية من نتائج وآثار؟ وذلك هو معيار الصدق الذي ينطبق على جميع الأفكار وعلى جميع المعتقَدات بغير استثناء (أمَّام، ١٩٩٣م)، فهي ترى أنَّ مبرر وجود الاعتقاد يعتمد على مدى نجاح نتائجه العملية، فالبراغماتية تعتمد على عواقب

معتقَداتنا، وهي على نقيض الفلسفات الأخرى، التي تعتمد على سوابق معتقَداتنا الحالية والتي تمكنا من التوصل إلى المعتقَدات الحقيقية (Polwright,2001).

البراغماتية في علم الاجتماع

إنَّ علم الاجتماع كغيره من العلوم الإنسانية تأثر كثيرًا بالفلسفة البراغماتية، التي كانت سائدة في القرن الماضي، ومن أشهر العلماء (جورج هيربرت ميد) الذي كان رائدًا للفلسفة البراغماتية في علم الاجتماع. فقَد اعتمد (جورج ميد) في نظرياته التفاعلية على التنوع المنهجي المستخدم (الكمي والكيفي). فهو لا يفسر المجتمع تماماً بواسطة مناهج العلوم الطبيعية أو الفلسفة الكيفية، فهو يرى أن المناهج البراغماتية يجب أن تكون أكثر شمولًا وتطورًا (Weigert,2008).

كما أنَّ مدرسة شيكاغو (الكيفية) ركزت كثيرًا على محاولة دمج المناهج والاعتماد على النتائج المرجوة بغض النظر عَنْ مصدرها وكينونتها. ولم يقتصر ذلك على علم الاجتماع الأمريكي فقط، بَلْ تعدَّى ذلك إلى كل الدراسات الاجتماعية. وبصورة كبيرة أُعتمد على تعددية المناهج ومن ثَم استخدام البراغماتية كأَحَد الفلسفات المستخدمة في دراسة المشكلات الاجتماعية والظواهر الاجتماعية وفي تحليلها وتفسيرها.

إنَّ الفلسفة البراغماتية أو المنظور البراغماتي لم يظل منتشرًا فقط في الدراسات الاجتماعية وعلم الاجتماع بالولايات المتحدة الأمريكية، بل أيضاً انتشر انتشاراً كبيراً في أوروبا، وخصوصًا في مدارس علم الاجتماع السياسي والاقتصادي عن طريق دراسات (بيير برديو) أو بواسطة النظريات الاجتماعية الحديثة أو النقَدْية لهابرماس(Bourdieu,1990, HABERMAS,1996).

ومنذ ظهور البراغماتية كمنهجية في علم الاجتماع بدأ التحول في الانظار بعيداً عَن الأطر الكبرى والنظم الاجتماعية الكبيرة إلى التركيز على التفاعلات الصغرى والمشكلات الناتجة عَن تفاعلات الأفراد ليس فقط كأفراد، ولكن أيضاً كجماعات لها خصوصياتها وأنماطها المختلفة. فبدأ الحديث عَنْ عصرنة المناهج والتركيز النفعي في الدراسات الاجتماعية بدلًا من الأخلاق والمثل العليا. إضافةً إلى ذلك أضافت البراغماتية نفسًا جديدًا كان معطلًا كثيرًا في حقل المناهج، بتجاهل التعصب نحو الأطر الكمية لدى الوضعيين أو الأطر الكيفية لدى البنائيين.

فقَدْ أسهمت البراغماتية والمنهجية المختلطة بتقريب الهوة، التي كانت قائمة بين العلوم الاجتماعية والعلوم الطبيعية، لا من حيث فقط دمج تلك المناهج، ولكن أيضًا وضعت إضافةً في استخدام المنهجين (الكمي والكيفي) داخل إطار موحد يمكن بواسطته تحليل وتفسير الظواهر والمشكلات الاجتماعية تحليلاً علميًّا وغير متحيز.

إنَّ الاشكالية، التي تواجه العلوم الإنسانية هي مدى مقدرتها على مجاراة العلوم الطبيعية في وضوح مناهجها ودقة تحليلاتها وتعمياتها. لذا أصبحت المنهجية البراغماتية وتعاملها مع أمور المعرفة والحقيقة مخرجًا للأزمة، التي صعبت على العلوم الإنسانية تجاوزها.

فكثيرًا ما تجاهلت الدراسات الاجتماعية في المجتمعات العربية المنهجية البراغماتية في تطبيقاتها، كما اعتمدت كثيرًا على الأسلوب الكمي الذي يعتمد فقط على الدراسات الاستطلاعية والوصفية؛ حتى أصبحت غالبية الدراسات الاجتماعية سواءً كانت بحوثًا ودراساتٍ عليا أو بحوثًا وطنيةً تعتمد فقط على الأسلوب الكمي في جمع بياناتها وتحليلها. وعلى الرغم من حاجة الدراسات الاجتماعية في المجتمع السعودي إلى سبر غور المشكلات الاجتماعية ومعرفة مدى انتشارها وكيفيتها، إلا أنَّ هذه الدراسات والموضوعات مازالت تدرس تدريساً سطحياً عن طريق دراسات استطلاعية ووصفية.

فالمجتمع السعودي ومن أنماط تغيره وسرعة وتيرة تنميته أصبح في حاجة ملحة للدراسات، التي لا تغفل أيّ جانب من جوانب الموضوعات، التي لا تؤخذ فقط بالدراسات الوصفية، بَلْ عادة ما تؤخذ بدمج المناهج في دراسات تحمل في طياتها الدراسة المتوسعة المطبقة على شرائح واسعة في المجتمع السعودي، وأيضاً دراسات تتعمق في المقابلات الشخصية والملاحظة العلمية للإحاطة بجميع جوانب الموضوعات الاجتماعية والدراسات الإنسانية.

هذا ما يتضح وبصورة كبيرة، خصوصًا في علم الاجتماع والدارسات الاجتماعية المنجزة في إطار المجتمع السعودي، فيغلب الكثير من النقَد في الأساليب والمناهج، التي استخدمت في الدراسات وما مدى قدرتها الحقيقية على التعميم؟ كذلك مدى قدرة تلك الدراسات الاجتماعية على الفهم الواضح، والقُدرة على تحليل الموضوعات الراهنة داخل المجتمع السعودي، وما مدى قدرتها على حل تلك المشكلات الاجتماعية. غالبية تلك الانتقادات نابعة لكون تلك الموضوعات اعتمدت اعتماداً كبيراً على الفلسفة الوضعية في إجراء تلك الدراسات وتركيزها المبالغ فيه على الأرقام، بدلاً من الاستعانة بالمناهج الأخرى، والتعمق في التحليل وفهم الظواهر.

إنَّ أكثر ما يحتاجه المجتمع السعودي حاليًا هو الدراسات الاجتماعية البينية، التي تعتمد في الأساس على دمج الأساليب الكمية والكيفية في منهجية واحدة. ودمج هذه المناهج ليس فقط مفيد في الحصول على المعلومات واكتشاف العلاقات بين المتغيرات، بل أيضاً تساعد ذلك على فهم أكبر للمجتمع السعودي من استخدام أسلوب واحد فقط.

في البراغماتية يقول (رورتي): "إنَّ الهدف من

البحث العلمي هو الحقيقة، أو في الغالب الاستعداد الأفضل للبرهنة، إمَّا بدعم ما ذكرناه سابقا أو العكس" (ديلودال،٢٠٠٩م). وهذا ما ساعد أصحاب الأساليب المختلطة للبحث على دمج (الكمي والكيفي)؛ حتى يتمكن الباحثون من تحقيق أقصى درجات العلمية للوصول لهذه الحقيقة أو الاستعداد للبرهنة عليها.

إنَّ التطبيقات المنهجية البراغماتية في علم الاجتماع متعددة، وتندرج تحت الكثير من الأطر من اختيار مشكلة البحث والإطار النظري للدراسة، وكذلك تحليل النتائج بعد الحصول عليها ومناقشتها.

المناهج المختلطة (mixed methods):

من أهم ما ميز الفلسفة البراغماتية، وأصبح لها قبول واسع، هو دمجها للمناهج (الكمية والكيفية) في إطار واحد. هذه الميزة، التي استندت عليها الفلسفة البراغماتية لتحقيق قبول واسع في تطبيق تلك المناهج في المواضيع الإنسانية والاجتماعية على حد سواء. فأصبحت المناهج المختلطة سمة أساسية في الفلسفة البراغماتية، حيث أصبحت واسعة الانتشار، ليس في البحوث المختصة في علم الاجتماع فقط، بَلْ تعدت ذلك إلى البحوث الإنسانية بصورة كاملة.

فقَدْ بيّنت دراسة (Linclon and Guba,2000) أنَّ هناك اختلافات جوهرية بين الوضعية والمنظورات الأخرى، وقَدْ تكون متناقضة بينهما أيضاً، فالذي يستخدم المنظور الوضعي يبحث عَنْ إجابة واحدة، وقَدْ يكون اختبارًا إحصائيًّا، إمَّا رفضًا أو عدم رفض للفرضيات. في المقابل يبحث النموذج البنائي عَنْ وسيلة لفهم وتفسير معنى التفاعل البشري وآراء الإنسان بواسطة المعلومات التي يتلقاها، وتصفيتها بواسطة العدسة الخاصة به، ويخضع ذلك لعديد من التفسيرات (Lichtman,2013). إلا إنَّ المنظور البراغماتي يرى أنَّ هناك طريقة ثالثة، لا تكون بالضرورة مختلفة كثيرًا عَن المنظورات الأخرى، بَلْ هي تعتمد على تفادي السلبيات، التي تعاني منها تلك المنظورات. إذ إنَّ المنظور الوضعي لا يبحث إلا عَن حل واحد فقط، ويتجنب فهم التفاعل الإنساني، وأيضاً المنظور البنائي الذي يعتمد في الغالب على الفهم، وله العديد من التفسيرات المختلفة من باحث إلى آخر. فالباحثون لم يتوقفوا بسبب جدال الفلاسفة، بَلْ طوروا طرقًا لإجراء البحوث على أساس أفكارهم الخاصة باتجاه العلوم الإنسانية (Neuman ,1991)، والتقنيات التي وضعها الباحثون؛ لإجراء تلك البحوث الاجتماعية، حيث تجنبت الكثير من الإشكاليات القائمة في الاختلافات بين المدارس الكيفية والكمية، بَلْ أصبح من الممكن الدمج بينهما ووضعها في منهج واحد للوصول إلى المعلومات المطلوبة.

هذا الدمج أسهم إسهاماً كبيراً في التركيز ليس فقط على المسببات والدواعي، بل أيضاً على النواتج والتعامل معها، خصوصًا في دراسة المشكلات الاجتماعية، التي عادة ما يتطرق إليها الباحثون في علم الاجتماع، حيث أصبح من الضروري التعامل مع المشكلة كما هي، وليس كما يجب أن تكون. كذلك اهتمت تلك البحوث بالاستفادة من جميع تلك المناهج الكمية، التي تركز على أخذ عينة كبيرة من شريحة أكبر وكذلك الاستفادة القصوى من التركيز على بعض تلك العينات، وأخذ جميع الأبعاد المتعلقة في الدراسة بصورة كيفية.

الا إن دمج المناهج البحثية لا يعَنْي دمج المنهجيات أو الفلسفات الاجتماعية، فاستخدام المنظور البراغماتي في الدراسات الاجتماعية من خلال البحث بوسائل كمية أو كيفية لا يعَنْي أن يكون هناك دمجٌ بين المنظورات الوضعية والبنائية؛ لذا فالمعالجة العملية لقضايا الموضوعية والذاتية، تنطلق من محاولة الباحث بوعي تأكيد النتائج، التي توصل إليها بالمشاهدات الواقعية (أسلوب كيفي) وبالبحث الكمي الذي يبتعد فيه عَنْ تقديراته وانطباعاته الشخصية، بلا شك فإنَّ هذا كثيرًا ما يكون مطمحًا أساسيًّا للباحث الاجتماعي، ولعالم الاجتماع التركيز على مشاهدته للواقع الاجتماعي وبعده عَن التوجيه الذاتي (الشتا،١٩٨٢م).

هذا ما تؤكده التفاعلية الرمزية، التي تتشارك مع المنظور البراغماتي في مصادر نظرية المعرفة (epistemology)، والتي تُظهر مدى التحيزات الاجتماعية للباحث، وكذلك للمبعوثين بمراقبة سلوكهم. (Dennis,2011).

البحث عَن الحل:

إنَّ أكثر ما يؤرق الباحثين الاجتماعين، هو كيفية الحصول على المنهج العلمي المناسب للتوصل إلى النتائج المرجوة. فكثير من الفلسفات الاجتماعية لم تستطع الوصول إلى الطريقة المناسبة في استخدام المناهج ذات القيمة العلمية والمتزنة. فهناك المناهج الوضعية، التي اعتمدت اعتماداً كبيراً على التجربة وعلى الإحصاءات، وكذلك هناك المنهجيات البنائية، والَّتِي اعتمدت على تحليل المضمون والتفسير (الاثنوجرافي)، ولكنهما جميعاً يقعون في المعضلة الأساسية، هل إنَّ تلك المنهجيات تستخدم بالفعل المناهج الجيدة في علم الاجتماع أم لا؟

لقَدْ ركزت الفلسفات القَديمة وبصورة كبيرة على استخدام أسلوب تحليلي واحد؛ لتقصي المعلومات والوصول للحقائق، بعكس المنظور البراغماتي الذي أهمل كثيرًا الاعتماد على شكل واحد في الأسلوب التحليلي، فالبراغماتية وكما يتحدث إبراهيم استبدلت النظر إلى الماضي فنظرت إلى المستقبَل وبدلاً من أن تهتم بتحليل الأشياء والمعارف، وردها إلى أصولها البسيطة

جعلت اهتمامها منصرفاً إلى ربط معرفتنا بعالم التجربة، لا من حيث النشأة، بَلْ من حيث النتائج (إبراهيم،١٩٩٩م).

إنَّ الفلسفة البراغماتية هي أقل تلك الفلسفات تحفظًا على استخدام المناهج، بَلْ تعدُّ هذه الفلسفة بعيدة عَن الجدلية المتعارف عليها في الدراسات الاجتماعية، وهي تلك الدراسات المختلفة سواء الكمية أو الكيفية. وجدت الفلسفة البراغماتية الأهمية ليس في استخدام المناهج من عدمها، بَلْ الأهمية فيما تتوصل تلك المناهج إليه من نتائج وحقائق صحيحة. لذلك اعتمدت الفلسفات البراغماتية على دمج تلك المناهج للحصول على المعلومات والحقائق المرجوة.

كما وضح (Morgan,2007) الاختلافات بين المنهجيات المختلفة، واعتبر أنَّ المنهجية البراغماتية هي منهجية مختلفة عَن الأسلوب الكمي أو الكيفي بتطبيقاتها ومميزات المنهجية البراغماتية عَنْ غيرها من المنهجيات. ويعد (مورغان) أنَّ الاتصال بين النظرية والبيانات عند الكمي هو استنباطي (Deduction) بينما يجده عند الكيفي استقرائي (Induction) وعند البراغماتي احتمال استدلالي (Abdcution reasoning) كذلك يرتبط بالبراغماتية أنها (Intersubjectviity) في حين الكمية تستدل على أنَّها موضوعية (Objectivity) والكيفية على أنها ذاتية Subjectivity. إضافةً إلى ذلك فهو يعدُّ المناهج الكمية والتي ترغب بالتعميم والعمومية والمناهج الكيفية بالسياق، يصنف المنهجية البراغماتية بالتحويلية أو القابلية للتحويل.

وعلى الرغم بأَنّ (عرابي) لم يتطرق إلى المناهج المختلطة كأَحَد المناهج الجديدة إلا إنه تطرق إلى أسباب الاختلاف والخلاف بين الأسلوبين الكيفي والكمي على أساس خلاف أيديولوجي معرفي،

في حين يؤكد أصحاب المنهج الكيفي على الالتزام القيمي ودور العلوم الاجتماعية في المجتمع، يؤكد أصحاب المنهج الإمبريقي (التجريبي) على الموضوعية والحياد القيمي، إنَّ حكم الواقع لا الحكم القيمي هو ما ينبغي أن يؤسس المعرفة العلمية (عرابي،١٤٢٣هـ: ٣١).

لم يتطرق عرابي إلى وجود منظور آخر قَدْ يسهم في ردم الهوة ما بين الأسلوب الكيفي والكمي، وهو المنظور البراغماتي الذي ساهم في تطبيق المناهج المختلطة، وهي التي تجمع ما بين الموضوعية والحياد القيمي، وكذلك الالتزام القيمي في تطوير النظريات الاجتماعية باستقراء الواقع ودراسته.

مميزات المنظور البراغماتي القائم على المنهج المختلط

من الطبيعي والمقبول أنَّ لكل فلسفة بعض المميزات وبعض العيوب، وهنا أيضاً فإنَّ المنظور البراغماتي أو المنهجية البراغماتية، لا تخرج عَنْ هذه القاعدة، وسوف نستعرض بعض تلك المميزات

وخصوصًا في مجال علم الاجتماع عامة وفي المجتمع السعودي خاصة.

إن من أهم ما يميز المنظور البراغماتي -وكما قلنا سابقًا_ قُدرته على استخدام المناهج المختلطة (الكمية والكيفية) وهذا ما يقل عند الكثير من الفلسفات الأخرى. إضافة إلى ذلك يتميز المنظور البراغماتي بسهولة قراءة المشكلات، وخصوصًا المشكلات الاجتماعية، حيث إنَّ هذا المنظور لا يتعمق كثيرًا في أصول تلك المشكلات، أو حتى الاهتمام بما هي المعايير المثلى، التي يجب أن تكون؛ لذا فالمنظور البراغماتي هو فلسفة عملية تهتم كثيرًا بكيفية الوصول إلى الحلول بقراءة تلك المشكلات قراءة موضوعية لا تتدخل فيها قيم الباحث أو حتى المعايير المجتمعية.

وقَدْ تحدث (وليم جيمس) عَن المنهج بقوله: "لكي يكون لدينا وضوح تام في أفكارنا عَنْ موضوع ما، لسنا في حاجة سوى للتفكير في النتائج العملية، الَّتِي يمكن تصورها، و، التي قَدْ تنتج عَنْ هذا الموضوع، وفي الإحساسات، التي نتوقع صدورها عنه وفي ردود الفعل، التي يجب أن نعدلها عَنْدئذ، لن يكون تصورنا لهذه النتائج سواء كانت مباشرة أو مستقبلة سوى تصورنا الكامل لهذا الموضوع، والمدى الذي يكون فيه لهذا التصور دلالة موجبة على الاطلاق". (إير،٢٠٠٦م: ١٦٢). فالبراغماتية ترى أنَّ دراسة مشكلات العالم الاجتماعي، التي لا تؤدِّي إلى نتائج أو إجراءات لها دور مهم في تمكيننا من اتخاذ القرار المناسب، أو اتخاذ اجراءات فعَّالة في إنجاز الأمور؛ تعدُّ نتائج أو معتقَدَات لا تقودنا إلى المعرفة. إضافة إلى ذلك فإنَّ البراغماتية تعتقد بقابلية الخطأ، وهي ترفض فكرة أننا يمكن أن نصل في أي وقت إلى فهم قاطع ونهائي عَن العالم، وهذا يعني بالضرورة أن المعتقدات والأفكار المجتمعية قابلة للتغيير والتعديل (Powlright,2011).

إن المجتمع السعودي يحتاج فعلاً للمنظور البراغماتي في البحوث الاجتماعية، ليس فقط لأنَّه قادر على قراءة المشكلات الاجتماعية بوضوح، بل أيضاً لأنَّ هذه المشكلات عادة ما تكون نتاج إرهاصات أو تقاليد سابقة؛ يجب على الباحث الاجتماعي قراءتها من دون التعمق في تلك الارهاصات أو التقاليد، التي أنشأت تلك المشكلة. وفي ظل مجتمع متغير كما هو المجتمع السعودي الذي يتغير بصورة كبيرة ويتحول من المجتمع البسيط الريفي البدوي إلى المجتمع الحضري المعرفي، تبقى الكثير من الرواسب والآثار، الَّتِي قَدْ يترتب عليها الكثير من المشكلات الاجتماعية في مجالات عدة منها:مجال دراسات المرأة، ومجال دراسات الاسرة، حيث بدا بارزاً الكثير من الاختلاف وظهرت المشكلات في طريقة الزواج والطلاق والمشكلات، التي تنتج عَنْها في الأسرة، وكذلك أيضًا في التنشئة الاجتماعية لدى الأطفال، كل تلك

المشكلات يجب الاهتمام بها عَنْ طريق المنظور البراغماتي، حيث يسهل على الباحثين الاجتماعيين وكذلك المهتمين في الشأن الاجتماعي التركيز على تلك المشكلات الاجتماعية كمشكلات حقيقية من دون الاهتمام الكبير بالبحث عَنْ مسبباتها أو حتى الولوج في خلفياتها القيمية.

إنَّ العلوم الإنسانية وبالأخص علم الاجتماع لم ينشغل كثيرًا في البناء المنهجي للعلم، وانحصر علم الاجتماع في الدراسات الديناميكية، التي تعتمد على طبيعة المرحلة التطورية بالمدخل التطوري (الشتا،١٩٨٢)، وعَنْ طريق الاعتماد على التغير الاجتماعي من الريف والبدو إلى الحضر، أو انتقال المجتمعات وتطورها متأثرةً بالنظرية الدارونية الاجتماعية التطورية.

ولم يسهم المنظور البراغماتي كثيرًا، إلا في القرن العشرين، وذلك بالابتعاد عَن النظر للمؤسسات والمجتمع أو قراءة المشكلات قراءة تقليدية، أو ارتباط علم الاجتماع بالمناهج المستحدثة في العلوم الطبيعية، أو بالملاحظة الدقيقة للأَحَداث. بَلْ تطورت تلك المناهج بواسطة المنظور البراغماتي إلى قدرتها على استخدام المناهج المختلط والتي تشمل الأساليب الكمية والكيفية؛ لتجنب القصور في قراءة المشكلات الاجتماعية.

إضافةً إلى قدرة المنظور البراغماتي على قراءة المشكلات الاجتماعية أيضاً، تميز هذا المنظور بالقدرة على الابتعاد كثيرًا عَن الأخذ بالاعتبار تكوين تلك المشكلات، وتهتم في وصف الحلول اهتماماً ملائماً بعيدًا عَن الخلفيات، التي عادة ما تكون تتعارض مع المجتمع أو أخلاقيات الباحث. لذا فالفلسفة البراغماتية تمتاز في وصف الحلول للمشكلات الاجتماعية كحلول منطقية وقابلة للتطبيق لعدة أسباب أهمها:

١- إن تلك الحلول هي نتاج لقراءة عملية لمشكلات اجتماعية.

٢- وصف الحلول عادة ما يكون بعد دراسة دمجت المناهج الاجتماعية الكمية والكيفية.

٣- عدم اعتمادها وبصورة كبيرة على بيانات المشكلات الأولية، بَلْ هي تدرس تلك المشكلات دراسة عميقة وبنفس الدرجة بصورة وسعة حيثياتها.

٤- الحلول المستخرجة للمشكلات الاجتماعية عادة ما تكون حلول عملية وتطبيقية، ليست نظرية؛ لذا فهي تعتمد في توصيف الحلول على الأطر العملية بصورة أكبر.

الجدل الدائر حول البراغماتية والنقد الموجه لها:

على الرغم من اتفاق البراغماتيين حول ارتباط صحة الفكرة بنتائجها المرضية أو بنتاجها في حل المشكلات عمليًّا، إلا إنَّهم اختلفوا في فروع كثيرة؛ مما أدَّى إلى ظهور البراغماتية الإنسانية والتجريبية والاسمية، وذلك سبب الخلاف، وقَدْ أدَّى ذلك إلى

كثرة أصول البراغماتية، التي استقى منها فلاسفتهم مصادرهم (إبراهيم،١٩٩٩م:٧٧).

إِنَّ الفلسفة البراغماتية كسائر المدارس الفلسفية تواجه الكثير من الآراء المضادة والناقدة. إلَّا إِنَّ الفلسفة البراغماتية أو المنهجية البراغماتية، قَدْ تخطت ذلك النقَد ليس لكمالها، بَلْ لتجاهلها لكثير من الأطروحات الأساسية في الفلسفات، مِثْل: الكيفية في نشوء الأمور أو تحليل مسبباتها وركزت على النتائج المترتبة على مِثْل تلك الأمور والعواقب التي نشأت منها. فلم تهتم كثيرًا بالمناهج المستخدمة في البحوث الاجتماعية أو الكشف عَنْ غموض المسائل، الَّتِي تبحث فيها، بَلْ غالبًا ما دعت البراغماتية إلى دمج تلك المناهج، وإعطائها الكثير من المرونة في التزام واضح منها بتجاهل الأسس الفلسفية القَدْيمة، وإعطاءها طابعاً جديدًا لا يعتمد على المسببات والدواعي، بَلْ يعتمد على النواتج والخواتيم.

ويرى (جيمس) إِنَّ البراغماتية: هي فلسفة توليفية أو توفيقية، فهي فلسفة تهدف إلى تحقيق التعايش السلمي فوق كل شيء وهي تفتقر إلى النغمة المنتصرة والنزعة الهجومية مِثْلما المذاهب المطلقة الأخرى (إبراهيم،١٩٩٩م).

كذلك لا نستطيع أن نغفل أنَّ البراغماتية لم تعتمد كثيرًا على المناهج الكيفية أو الكمية على حدة، ولم تصنف فلسفاتها على أنَّها إمبريقية كمية أو تفسيرية كيفية. إضافةً إلى أنَّ المنهجية الفلسفية للبراغماتية سعت إلى دمج المناهج في أسلوب وأَحَد حتى يستطيع الباحث استخراج الكثير من النتائج مستبعدًا الكثير من القصور المنهجية، التي تسبب له في اختيار منهج واحدٍ عَنْ غيره.

فالمعرفة، التي ينبغي على الباحث السعي للحصول عليها هي، التي عادة ما تبدأ من تبرير خياراته في استخدام المنهجية والأساليب البحثية، التي سوف تصل به إلى الافتراضات عن الحقيقة (Polweright, 2011)، فالمنظور البراغماتي يسهل كثيرًا باستخدام المناهج المختلطة المعرفة الإنسانية وسبل تبرير التوصل إليها بعكس تلك المنهجيات البنائية أو الوضعية والتي عادة ما تواجه الأسئلة القَديمة عن الموضوعية والذاتية في البحوث الإنسانية.

وهي، أيضًا كما يراها إبراهيم: البراجماتية ليست بدعة تامة، كما يزعم البعض وليست مجرد تحوير لأفكار قَدْيمة كما يعتقَدْه خصومها، بَلْ هي مركب أصيل من القَدْيم والحديث، ونقطة تجمعت فيها قوى بعضها جاذب بعض وبعضها طارد، وحركة لم تظهر بناء على اهتمام نظري بحت بقَدْر ما ظهرت من العلاقة المباشرة بالحياة ذاتها ونتائجها بالنسبة إلى الوجود الإنساني (إبراهيم، ١٩٩٩م:٧٤).

إِنَّ الدراسات الاجتماعية وخصوصًا في المجتمع السعودي غالبًا ما تعتمد على البحث الكمي

مستخدمة المنهجية الوضعية في الموضوعات الاجتماعية، أو المنهج (الاثنوجرافي الأنثروبولوجي) الكيفي في دراسة بعض الظواهر الاجتماعية متجاهلة الكثير من الفوائد، التي يمكن الحصول عليها بدمج تلك المناهج (الكمي والكيفي) في الفلسفة البراغماتية للحصول عليها وتجنب السلبيات، التي قَدْ تنتج من استخدام منهج واحد فقط. فالمنهج المختلط بالمنظور البراغماتي هو منهجية متكاملة لإجراء الدراسات باستخدام البيانات التجريبية والملاحظة، فهي التي تصل إلى نتائج وتحلل القضايا الاجتماعية والتعليمية بنجاح، والتي هي محور الاهتمام. إضافةً إلى ذلك فالمنهج المختلط يقبل الاعتماد على نظرية المعرفة النسبية، والتي تقبَل معرفة وفهم العالم الاجتماعي المتغير والمتطور مع مرور الزمن (Powlright,2011). وهذه المنهجية والمنظور الذي قَدْ يتناسب مع الدراسات الاجتماعية في المنطقة العربية، وفي المجتمع السعودي على شكل الخصوص.

كغيرها من الفلسفات الاجتماعية واجهت الفلسفة البراغماتية نقدًا كبيرًا، وخصوصًا في مجال البحوث الاجتماعية كأَحَد المنهجيات المستخدمة في علم الاجتماع. إلَّا إِنَّ هذا النقَدْ لم يتوقف عند هذا الحدّ في مجال العلوم الاجتماعية، بَلْ تعدى ذلك، وخصوصًا في المجتمع السعودي إلى نقَد البراغماتية نقداً كبيراً، إضافةً إلى نقَد الفلسفة بذاتها.

إِنَّ المطلع في الدراسات الاجتماعية بصورة عامة، وفي دراسات علم الاجتماع بصورة خاصة يجد التجاهل الكبير في تحديد المنهجيات الفلسفية، التي تستخدم في تلك البحوث وكذلك المحاولة إلى تجاهل تلك المنهجيات وعدم دراستها أو تطويرها. وهذا يمثل الكثير من الدارسين في علم الاجتماع في المجتمع السعودي تجنب الخوض في الفلسفات كونها في الأساس مرفوضة ثقافيًّا وغير معتبرة دينيًّا. هذا الرفض الثقافي هو نابع في الأساس من كون هذه الفلسفات هي نتاج جهد إنساني غربي، يمثل كثيرًا الثقافة الغربية وجوانبها الثقافية؛ لذا تكون تلك الفلسفات لا تتجاوب كثيرًا مع التساؤلات، أو الأطروحات الفلسفية، التي تخصُّ المجتمع السعودي، أو تحمل في طياتها ثقافته واهتماماته.

إلَّا إِنَّ المنظور البراغماتي نال الكثير من النقَد عن فكرته الأساسية واعتماده على الواقع العملي أكثر من كون الحق يستمد قيمته المطلقة من قيمته الثابتة. وقَد ذكر (حلمي) بعض المآخذ على المنظور البراغماتي، وهي: إِنَّ الحق ليست قيمة نسبية بَلْ مطلقة؛ وإلَّا فإِنَّ المجتمع يُصاب بالفوضى المدمرة لكيانه وبعلاقاته مع غيره من المجتمعات بسبب الحروب والمناكفات. وإِنَّ الحق إِنَّما هو فرض عملي، أي مجرد أداة يختبر بها تصور السابق للفرد. كذلك يرى أيضًا أنَّ علاقة الدين بالفرد علاقة نفعية تتأرجح بين الإيجاب والسلب (حلمي ،١٩٩٨م).

كذلك تعدُّ تلك الفلسفات الغربية غير معتبرة لدى الكثير، والسبب الآراء الدينية عنها، وكذلك نظرة تلك الفلسفات تجاه الدين بصورة كبيرة. فالكثير من النقد الذي يوجه للفلسفات الاجتماعية بصورة عامة وللبراغماتية بصورة خاصة، هو نابع عَنْ كونها قَدْ تتعارض مع الفكر الديني السائد، أو قَدْ يتعارض بعضها مع المرتكزات، التي تقوم على الإسلام. وقَدْ ذكر حلمي في معرض نقده على البراغماتية ما يلي:

ا-اللاأخلاقية برغم التقيد ببعض الفضائل كالأمانة والانضباط والتقيد، فضائل ليست مقصودة بذاتها، ولكنها تفيد الرأسمالي في تعامله مع الغير، وتظهر اللاأخلاقية في الدعاية والإعلان.

ب-الارتباط الوثيق بالحرب.

ج-الانَحرافات السلوكية وأهمها الإجرام.

د-لم يسلم الدين من التفسير النفعي في ضوء الفلسفة البراغماتية (فإِنَّ اعتبار شروط وجود الدين وأصوله ونشأته، لا أهمية لها عند من يسأل عَنْ قيمة الدين، لأنَّ قيمته فيما ينتجه. (حلمي، ١٩٩٨م: ٢١٠)، كذلك عادة ما تمثل مسألة الدين وعلاقته بالمجتمع دوراً أساسياً في الفلسفة؛ لذا يكون الاعتماد رفض تلك الفلسفة من أساسها، التي هي معيار أساس لدى الكثير من علماء الاجتماع بصورة كبيرة في المجتمع السعودي، أو بالأخص لدى الكثير من علماء الدين في المجتمع.

إِنَّ الحياة الدينية، التي يعيشها الكثير في المجتمع السعودي، لا تتوافق مع المعايير الفلسفية وخصوصًا البراغماتية. لذا نجد دائمًا هناك الكثير من الاعتماد في المنهجيات العلمية دون ذكرها كأَحَد نواتج الفلسفات العلمية. خصوصًا في الأطروحات الاجتماعية سواءً كانت تلك الأطروحات تعتمد على الفلسفة الوضعية، أو على الفلسفة البنيوية.

الخاتمـــــة

إِنَّ البراغماتية ليست كلها شرًا كما أنَّها وبالضرورة ليست كلها خير. إِنَّ الحديث عَن البراغماتية يعبر عَنْ مدى حاجة البحوث في العلوم الاجتماعية وبالخصوص في علم الاجتماع لمنهجيات جديدة تتوافق مع حاجيات المجتمع وللوصول للمعارف وتطويرها.

إِنَّ الاعتماد الكبير فقط على الفلسفة الوضعية كمنهجية بواسطة الدراسات الكمية فقط في المسائل الاجتماعية داخل المجتمع السعودي لم تعطِ تلك الدراسات الإسهامات الكبيرة في التوصل للحقائق أو تنمية تلك التطورات. بَل اعتمدت اعتماداً كبيراً على الأرقام كأَحَد المصادر المضللة في التعامل مع الأنسان. لذا فالبراغماتية كأَحَد الفلسفات العلمية والتي لا تخلو كثيرًا من العيوب والقصور، قَدْ تسهم إسهاماً كبيراً بدمج المناهج الكمية والكيفية في تجسير الهوة في المعلومات، والحصول على البيانات الملائمة كافة

للمشكلة الاجتماعية أو للظاهرة الاجتماعية، فضلًا عَنْ أنَّ تلك البيانات يُتعَامل معها على شكل موضوعات مستقلة لا تتدخل فيها الأهواء أو الخلفيات الاجتماعية.

المراجـــع

المراجع العربية:

إبراهيم، مصطفى إبراهيم، *نَقْد المذاهب المعاصرة*، الإسكندرية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ١٩٩٩م.

أمَّام، عبد الفتاح أمَّام، *مدخل إلى الفلسفة*، الكويت، مؤسسة دار الكتب للطباعة والتوزيع، ١٩٩٣م.

اير، الفرد جوليس، *الفلسفة في القرن العشرين* ترجمة بهاء درويش، الإسكندرية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ٢٠٠٦م.

التريكي، فتحي والتريكي رشيدة، *فلسفة الحداثة*، بيروت، مركز الإنَّماء القومي، ١٩٩٢م.

الحجيلي، منصور "البراغماتية عرض ونقَد"، الجمعية العلمية السعودية لعلوم العقيدة والأديان والفرق والمذاهب، مجلة الدراسات العقدية، العدد الرابع،١٤٣١هـ المدينة المنورة، مستوردة من الإنَّترنت بتاريخ ٢٧/ ٥/ ١٤٣٥هـ:
http://aqeeda.org/book/el - pragmatije.pdf

حلمي، مصطفى، الفكر *الإسلامي في مواجهة الغزو الثقافي في العصر الحديث*، الإسكندرية، دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع، ١٩٩٨م.

ديلودال، جيرار، *الفلسفة الأمريكية* ترجمة (جورج كتورة) والهام الشعراني، بيروت، المنظمة العربية للترجمة، ٢٠٠٩م.

الشتا، السيد علي، *المنهج العلمي والعلوم الاجتماعية*، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٨٢م.

عرابي، عبدالقادر، *النظريات الاجتماعية رؤية نَقْدية، الجزء الأول*، الرياض، مكتبة الخريجي، ١٤٢٣ه.

وهبه، مراد، *المعجم الفلسفي*، القاهرة دار قباء الحديثة، ٢٠١١م.

المراجع الأجنبية

Creswell, John W. *Research Design Qualitative, Quantitative and Mixed Methods Approaches.* London. Sage publications Ltd. 2009.

Crotty, Michael. *The Foundations of Social Research meaning and perspective in the research process*. London. Sage publications Ltd. 1998

Dennis, Alex. *Pragmatism and Symbolic Interactionism*. Chapter of The Sage Handbook of The philosophy of Social Sciences. Edited by Ian Jarvie and Jesus Zamora-Bonilla. London. Sage publications Ltd. 2011

Goldkuhl, Göran *Meanings of Pragmatism: Ways to conduct information systems research*. Sweden. the 2nd International Conference on Action in Language, Organisations and Information Systems (ALOIS-2004), 17-18 March, 2004, Linköping University, 2004

Halton, Eugene *Pragmatism*. In: Encyclopedia of Social Theory. George Ritzer, ed. Thousand Oaks: Sage Publications. 2004

Hookway, Christopher, "Pragmatism", The Stanford Encyclopedia of Philosophy (Spring 2015 Edition), Edward N. Zalta (ed.),URL= http://plato.stanford.edu/archives/spr2015/entries/pragmatism/ 2015

Jarvie, Ian *Philosophy Problems of the Social Sciences: Paradigms, Methodology and Ontology*. Chapter of The Sage Handbook of The philosophy of Social Sciences. Edited by Ian Jarvie and Jesus Zamora-Bonilla. London. Sage publications Ltd. 2011.

http://mmr.sagepub.com/cgi/content/abstract/1/1/48 . 2007.

Neuman, W. Lawrence *Social Research Methods*. London. Allyn and Bacon. 1991

Plowright, David *Using Mixed Methods Frameworks for an integrated methodology*. London. Sage publications Ltd. 2011

Thayer, H.S. *Pragmatism the classic writing* . Cambridge. Hackett Publishing Company. 1982

Weigert, Andrew *Pragmatic Thinking about Self, Society, and Natural Environment: Mead, Carson, and Beyond. Symbolic Interaction*, Vol. 31, No. 3 (Summer 2008), pp. 235-258. 2008

Johnson, R. Onwuegbuzie, Anthony. Turner, Lisa. Toward a *Definition of Mixed Methods Research*. Journal of Mixed Methods Research. Sage publications. 1; 12. http://mmr.sagepub.com/cgi/content/abstract/1/2/112 2007

Lichtman, Marilyn *Qualitative Research in Education*. London. Sage publications Ltd. 2013.

Morgan, Divid *Paradigms Lost and Pragmatism Regained*: Methodological Implications of Combining Qualitative and Quantitative Methods. Journal of Mixed Methods Research. 1; 48.